المحاضرة السابعة: تاريخ المسالك

1)المسالك البرية:

تناول الجغرافيون العرب المسالك البرية الرئيسية وبينوا مسافاتها ومراحلها وما اكتنفها من صعاب وما توفرت عليه من تسهيلات لتفعيل الحركة التجارية، فاهتموا بالطريق الساحلي ابتداء من برقة إلى البحر الغربي، والذي أطلق عليه اسم:

- **طريق "الجادة"**، وكانت برقة أول محطة تجارية على هذا الطريق ينزلها القادم من مصر باتجاه مدن إفريقية وكان هذا الطريق يجتاز عدة مدن ساحلية ، قبل أن يصل إلى القيروان من بينها مدينة أجدابيا ثم طرابلس الواقعة على ساحل البحر كما كان يمر على مدينة صبرة الواقعة على بعد يوم واحد من طرابلس.

ومن المحطات التجارية الواقعة على طريق الجادة مدينة قابس الساحلية ومنها يسير الطريق إلى مدينة صفاقس ومنها إلى المهدية ثم مدينة سوسة البحرية ليصل الطريق إلى مدينة تونس البحرية ، ومن هذه الأخيرة إلى طبرقة مارا على مدينة باجة ثم يجتاز مرسى الخرز ليصل إلى جزائر بني مزغنة ثم يواصل الطريق باتجاه المدن الساحلية في المغرب الأوسط والأقصى فيجتاز تنس ووهران وواسلن ثم أرشكول ونكور، وكانت هذه المدن نشطة للتجارة البحرية في ذلك الوقت وارتبطت فعاليتها التجارية مع المدن الداخلية، وكانت آخر محطات تجارية في الطريق الساحلي سبتة وطنجة ومنها ينعطف الطريق إلى مناطق المغرب الأقصى الساحلية والداخلية.

-أما **الطريق "البري الداخلي"** فيجتاز مناطق المغرب الواقعة بين المنطقة الساحلية وبين البراري والمفاوز –الصحراء- والتي تفصل المغرب عن السودان؛ ويبدأ هذا الطريق من إفريقية ويسير إلى آخر أعمال طنجة ويمر في بلاد عامرة ومدن متصلة، ويعتبر هذا الطريق عبارة عن شبكة كبيرة من الطرق التي تربط المراكز أو الأسواق التجارية المغربية ، و يحتوى هذا الطريق على طرق برية رئيسة وأخرى فرعية كثيرة منها:

***الطريق البري الأول:** ويبدأ من القيروان وهو بثلاثة فروع تلتقي عند المسيلة في الزاب، حيث اعتبرت مركز التقاء الطرق البرية الداخلية خلال القرن الرابع الهجري؛ وقد تم أنشاء مدينة المسيلة لدوافع اقتصادية من أجل تأمين المسلك القادم من سجلماسة إلى القيروان لأن المسلك الشمالي كان مهدد من قبل أمويي الأندلس والمسلك الصحراوي الجنوبي تسيطر عليه قبائل زناتة في القرن 4ه/10م وبذلك أصبحت المسلة ليست فقط ذات أهمية محلية وإنما لعبت دورا هاما في النشاط الخارجي خاصة في التجارة العابرة للصحراء.

- كما يتوسط الفرع الأول للطريق البري الفرعين الآخرين ويبدأ من القيروان إلى مدينة تيهارت وقد ذكر الأصطخري هذا الطريق بإيجاز شديد مكتفيا بالإشارة إلى أنه يستغرق مسيرة ست وثلاثون مرحلة على الإبل، بينما ذكرها البكري بتسع عشر مرحلة، ويمر هذا الطريق على بغاي وبلزمة وطبنة وأدنة ببلاد الزاب إلى أن يصل إلى تيهارت ثم تلمسان ويتوقف في بلاد السوس هذا المسلك ضمن للقيروان الإشراف الإداري المباشر بعد الفتح الإسلامي، وقدم ابن حوقل

تفاصيل هذا الطريق باتجاه تيهارت ؛ فهو يجتاز مرماجنة هذه المدينة اعتبرت أول مفترق طرق يتفرع منها طريقان واحد باتجاه شمال غرب في ناحية تيجس والآخر باتجاه الغرب في ناحية مسكيانة ثم باغاي وفي هذه المدينة الطريق انشطر الطريق إلى فرعين واحد باتجاه بلزمة ونقاوس وطبنة، وهذا الممر يلتقى بالفرع المؤدي من مرماجنة إلى تيجس ثم إلى قسنطينة ثم ميلة ثم سطيف وآشير، أما الفرع الثاني فيتفرق من باغاي نحو دوفانة ودار ملول ثم نحو طبنة ومقرة والمسيلة لتنتهي بتهارت.

ينتهي هذا الطريق عند مدينة فاس فهو يمر بالسير إلي باغي وطبنة مارا بار ملول وقبل أن يصل هذا الطريق إلى المسلة يمر على مقرة وهو منزل فيه مرصد لجباية الضرائب التجارية، أما الفرع الثاني فهو الفرع الشمالي من الفرع البري العام الذي يربط القيروان بالمسيلة حيث يمر ببلاد كتامة ويسير باتجاه مدينة تيجس ومنها إلى قرى عديدة حتي يصل إلى مدينة المسلة، ثم نجد الفرع الثالث وهو الفرع الجنوبي الذي يربط القيروان بالمسيلة ويمر على المناطق الواقعة جنوب الأوراس كتامريت ومدالة ثم نفطة وقسطيلة وينتهي بقفصة.

وبعد أن تنتهي هذه الفروع الثلاثة من القيروان عند المسلة يسير الطريق البري باتجاه المغرب نحو مدينة تيهرت وفاس مركز التقاء الطرق التجارية البرية الداخلية ويوافق المقدسي ابن الحوقل في وصفه لهذا الطريق ويحدد مسافته فيذكر أنه يبدأ من تيهرت إلى مدينة آشير ثم على المسيلة ثمانية أيام ومنعا على مجانة ثم إلى القيروان ستة أيام وهو أقصر الطرق إذ لا تتعدى مسافته أربعة عشر يوم مدينة تلمسان ثم على مدن العلويين ،ويستمر هذا الطريق إلى مدينة فاس ويستغرق الطريق بين مدينتي فاس تيهرت وفاس حوالي خمسين يوما.

يصف" ابن الحوقل" الطريق بين فاس والمسيلة بالمقلوب مبتدئا بمدينة فاس ومنتهيا بالمسيلة ثم القيروان والسبب في ذلك كما قال :" لقد سلكته من المغرب إلى إفريقية "والواضح أن هذا الطريق يسير من مدينة فاس باتجاه المسيلة في مناطق سهلية ذات أنهار ووديان فمن فاس إلى سبو وهو نهر عظيم ونمالته التي تقع على واد يقال له إيناون.

يسير هذا الطريق في هذا الجزء من بلاد المغرب بموازة الساحل وليس بعيدا عنه، فهو يمر بجرارة أبي العيش التي تقع على بعد ستة أميال من البحر، ومنها إلى تلمسان ويستمر سيره إلى مدينة أفكان، ومنها يتفرع إلى فرعين؛ أحدهما يسير باتجاه الشرق إلى تيهرت الواقعة على بعد ثلاثة مراحل من أفكان أما الفرع الثاني فيسير من هذه المدينة بموازة البحر إلى مدن شلف وتنس والخضراء ومنها الطريق ينحرف إلى مدية مليانة ليصل بعدها إلى مدينة أشير التي تبعد ثلاثة مراحل عن المسيلة، ومن هناك يرتبط هذا الطريق بالطرق الفرعية الثلاثة المتفرعة من المسيلة المؤدية إلى القيروان، ويبدو أن منافسة مدينة أفكان لمدينة تيهرت في القرن4هـ.

***الطريق البري الثاني:** فهو يربط بين إفريقية بالمغرب الأقصى فإنه يسير بمناطق الواحات المغربية وبلاد الجريد، و قد وصف اليعقوبي هذا الطريق الذي يبدأ من القيروان عبر مناطق بلاد الجريد ثم إلى تيهرت ومنها إلى سجلماسة.

خريطة رقم (1) الطرق التجارية لبلاد المغرب الإسلامي مع السودان

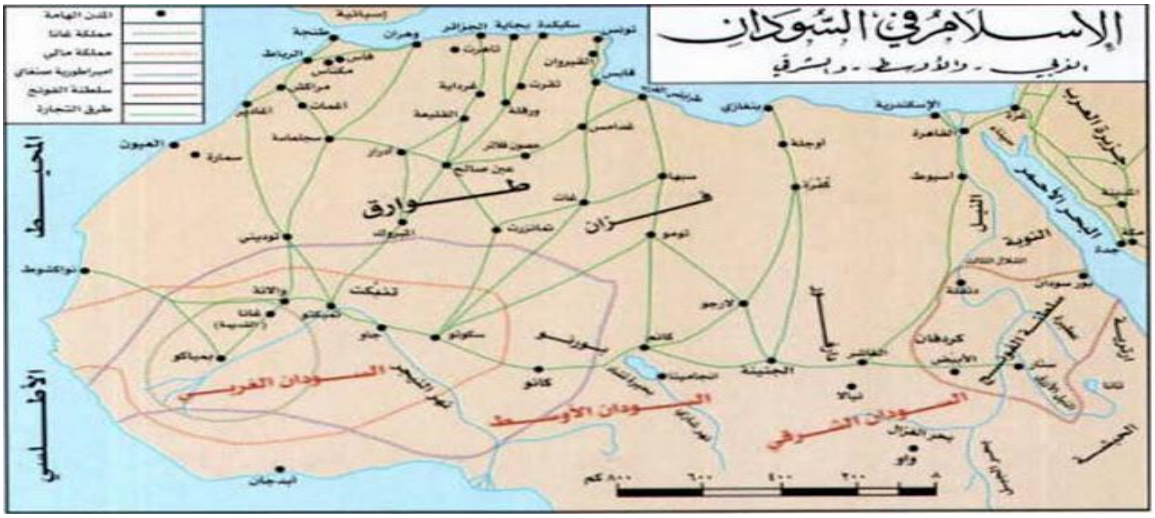

2) المسالك المائية:

لا تفيد المصادر المتاحة عن الكشف عن هذا الجانب من التجارة البحرية الداخلية، فالظاهر أنها لم تستخدم كثيرا ويحتمل سبب ذلك نقص التقنيات الملاحة المغربية في هذه الفترة بخلاف ما شهدته الأساطيل الإسلامية في المحيط الهندي، ولحسن الذكر فإنه هناك نصوص قليلة تفيد في الكشف عن المسالك البحرية بين المدن المغربية كتلك الإشارة التي نقلها "البكري" عن "محمد بن يوسف الوراق" أن الخروج من طنجة إلى سبتة في البحر فإنه يأخذ إلى جانب الشرق.

وفي إشارة أخرى لنفس المؤلف؛ أن السفن تسير من ساحل نول إلى وادي سوس ثلاثة أيام ثم تنتقل إلى مرسى" امقدول وقوز" لتقف في آسفي وتستمر إلى "البيضاء" ثم "الفضالة"" فمازغين" ثم تواصل طريقها إلى طنجة فسبتة وتقف في مراسي الشاطئ الغربي لبحر الروم، ولقد ذكر"ابن حوقل" أن أهالي البصرة استخدموا البحر المحيط لنقل بضائعهم ويعدون إلى بحر الروم لقد كانت هناك ملاحة مغربية حول الساحليين لبحر المحيط و بحر الروم، ولكن حصة هذا الأخير كانت أكثر بكثير وهذا ماتدل عليه كثرة المراسي القائمة.